

العبث الفكري في سياق البحث العلمي



abou_halawa2003@yahoo.com

محمد السعيد أبو حلاوة - علم النفس، مصر

يثير تعبير العبث الفكري استياءً وضيقاً انفعالياً قد يصل بالمرء إلى درجة الغثيان، لارتباطه مباشرة بما يصح تسميته النفور والاستياء والارتباك والتوهان النفسي Psychological Disorientation، وهو أمر مستكر وإن كان غير مستغرب في حياتنا المعاصرة؛ نظراً لتعدد صورته وتشكيلاته التي باتت تحيط بنا من كل جانب، وتزكم الأنف بكم غير محتمل من السطحية والابتذال والاجترار لكل ما هو سطحي مناقض لقضايا الوجود والمصير.

فقد كنا وإلى وقت قريب نرفع أيدينا تضرعاً لله عند شهود تشييع جنازة شخص إلى مثواه الأخير ونردد تعبير "لا إله إلا الله محمد رسول الله" إقراراً بعبوديتنا وعبوديته لخالق باري مصور قادر ومقدر رجاء عفوهِ ومغفرته، وتذكيراً لأنفسنا بسنة الله في خلقه والمتمثلة في كل شيء هالك إلا وجهه، وكل من عليها فان.

وأصبحت الآن مجبر على ممارسة نفس الآلية لا على فقدان شخص بل على فقدان هوية البحث العلمي في عالمنا العربي والتي تغنيت بمجدها وافتخرت بمنجزها الإنساني على يد الآباء المؤسسين للدرس والبحث السيكولوجي، ولكن كل ذلك يُمهد له الآن بتعبير "كان" وهو تعبير ماضوي تُنتج عملية معاييرته بأوضاعنا الراهنة مفارقة قيمة بغیضة تجسد متصل الفخر – الحسرة، الفخر كل الفخر بالمنجز العلمي لرواد علم النفس في العالم العربي والآباء المؤسسون له، والحسرة على واقع الحال الراهن لدى من يمكن تسميتهم الجيل الخامس أو السادس من من يطلق عليهم تجاوزاً باحثين.

فهل حقاً فقدت الوظيفة البحثية للأكاديميات العربية في الوقت الراهن حقيقتها الوجودية فكراً وإنجازاً إنسانياً؟ أخشى أن تكون الإجابة نعم، وأدعو الله أن أكون مخطئاً واهماً مدعيًا بلا مسوغات!! ومع ذلك نعم المفعمة بيأس مهين لخصوصية الحالة والظرف والسياسات ليست نهاية المطاف، فقد تنبئ المآلات بالنقازم التام أمام الآخر الغربي الذي يمتلك كل مقومات الإثمار البحثي والتي مكنته ليكون له قصب السبق في الإثمار العلمي، وليصبح كثير من جيل شباب

يثير تعبير العبث الفكري استياءً وضيقاً انفعالياً قد يصل بالمرء إلى درجة الغثيان، لارتباطه مباشرة بما يصح تسميته النفور والاستياء والارتباك والتوهان النفسي

الفخر كل الفخر بالمنجز العلمي لرواد علم النفس في العالم العربي والآباء المؤسسون له، والحسرة على واقع الحال الراهن لدى من يمكن تسميتهم الجيل الخامس أو السادس من من يطلق عليهم تجاوزاً باحثين.

هل حقاً فقدت الوظيفة البحثية للأكاديميات العربية في الوقت الراهن حقيقتها الوجودية فكراً وإنجازاً إنسانياً؟

قد تنبئ المآلات بالنقازم التام أمام الآخر الغربي الذي يمتلك كل مقومات الإثمار البحثي والتي مكنته ليكون له قصب السبق في الإثمار العلمي

كثير من جيل شباب الباحثين اليوم ومنهم "أنا" – إلا من رحم ربي – تابعاً مستهلكاً لعتاء ذلك الغربي دون

خصوصية ذات أو أصالة وجود

تنكر إرادي لهمة الحياة، وارتضاء طوعي بالدونية، وخروج تام من فعاليات التأثير الإيجابي في المنجز البحثي، وتجرح إجباري لمرارة التبعية والانقياد البحثي للآخر الغربي المغاير عنني فكرًا وانفعاليًا وسلوكًا (مصطفى حجازي، 2015)

كلنا على يقين تام أنه بالعلم ترفع بلاءات منظومة الإهانة الوجودية للإنسان، والتمثلة في الجهل والفقر والمرض

لسفاهات حياتية معاصرة في الوقت الحالي تؤكد على أن وجود المجتمعات يدور بقاءً وهدمًا مع اقتصاديات المعرفة

لا يمكن تحقيق اقتصاديات المعرفة واقتصاديات السعادة دون صناعة الباحث المؤهل والممكن بكل مقتضيات الصفاة والجدارة والافتقار العلمي

ترتكز مثل هذه الصناعة على رباعية التعليم والتأهيل والإتاحة والثقة

هل أكاديمياتنا العربية تعتمد مثل هذه الصناعة على مستوى منطلقاتها النظرية وهيكلتها البنوية وإجراءاتها التنفيذية؟

العبث الفكري هنا منطلق يصلح لوصف وتفسير حالة الوعكة التعليمية والبحثية

الباحثين اليوم ومنهم "أنا" – إلا من رحم ربي – تابعًا مستهلكًا لعطاء ذلك الغربي دون خصوصية ذات أو أصالة وجود، لدرجة يقيني أنه لم يبق لي كباحث إلا أن يُقام على حفل تأبين مأساوي على عجز ومنجزي العلمي في مجال التخصص. (الكلام ينطبق علي أنا فقط، إذ يملكني اليقين بضائلة حجمي وانعدام قيمتي مقارنة بالإثمار العلمي للباحثين في العالم الغربي بحيث لا يحق لي أن أسمى نفسي باحثًا).

إن واقع حالي أنا البحثي ومنجزي العلمي إن كان لي منجزًا علميًا ينطبق عليه قول (مصطفى حجازي، 2015) تنكر إرادي لهمة الحياة، وارتضاء طوعي بالدونية، وخروج تام من فعاليات التأثير الإيجابي في المنجز البحثي، وتجرح إجباري لمرارة التبعية والانقياد البحثي للآخر الغربي المغاير عني فكرًا وانفعاليًا وسلوكًا.

وكلنا على يقين تام أنه بالعلم ترفع بلاءات منظومة الإهانة الوجودية للإنسان والتمثلة في الجهل والفقر والمرض، ومخطئ من يتصور أن الاقتدار والجدارة دالة لامتلاك الموارد المادية، أو لامتلاك لاقتات علمية لمكانات وظيفية متوهم أنها الأرقى في سلم التراتبية الأكاديمية في مجتمعات العبث العلمي التي هي بطبيعتها مضادة للتعلم الإنساني.

وتطرح فلسفات حياتية معاصرة في الوقت الحالي تؤكد على أن وجود المجتمعات يدور بقاءً وهدمًا مع اقتصاديات المعرفة Knowledge Economics وهي فلسفة تجسد الاندفاع الإيجابي الإنساني السوي في مسار إنتاج العلم وامتلاك ما يعرف بسر الصناعة Knowing How؟، واقتصاديات السعادة Happiness Economics التي تجعل الغاية النهائية للوجود البشري التمتع وراحة البال.

ولا يمكن تحقيق اقتصاديات المعرفة واقتصاديات السعادة دون صناعة الباحث المؤهل والممكن بكل مقتضيات الكفاءة والجدارة والافتقار العلمي، وترتكز مثل هذه الصناعة على رباعية التعليم والتأهيل والإتاحة والثقة، والسؤال هل أكاديمياتنا العربية تعتمد مثل هذه الصناعة على مستوى منطلقاتها النظرية وهيكلتها البنوية وإجراءاتها التنفيذية؟ أم تعتمد صناعة الاجترار والتغني بالماضي والتعبئة المعلوماتية المميته لكل قابلية تفكير وانفعال وفعل إبداع حقيقي يثمر إسهامًا إيجابيًا في بنية العلم؟ (مصطفى حجازي، 2014).

العبث الفكري هنا منطلق يصلح لوصف وتفسير حالة الوعكة التعليمية والبحثية القابضة بتلابيبها على المنجز البحثي في الدراسات النفسية العربية التي هي في أحسن الأحوال اجترارًا مهينًا لعطاء الآخر الغربي لدرجة نثير الغثيان دون تجويد له أو إثراء لوسعه أو إضافة حقيقية تجعل لنا مكانة ومعامل تأثير حقيقي، وفي أسوأ الأحوال تنكر إرادي لقضايا الهوية والمصير فلا نجد دراسات بحثية تتعامل مع خصوصيات الحالة والظرف والسياق ربما لافتقار الجدارة

القابضة بتلابيبها على المنجز
البحثي في الدراسات
النفسية العربية التي هي في
أحسن الأحوال اجتراراً مهيناً
لعطاء الآخر الغربي لدرجة
تثير الغثبان

في أسوأ الأحوال تنخر
إرادتي لقضايا الهوية
والمصير فلا نجد دراسات
بحثية تتعامل مع خصوصيات
الحالة والظرف والسياس ربما
لافتقادات الجدارة البحثية
لدى كثير من الباحثين
العرب

الافتقار للرؤية البحثية التي
تتعدد في إطارها رسالة
إيجابية لوضعية رسالة العلم
في المجتمع، وتعدد وفقاً لها
مهامه وأهدافه وإجراءاته

الافتقار إلى الهوية البحثية
التي تميز قضايا الاهتمام
البحثي في الحالة العربية
ميزاً فارقاً عن الهوية البحثية
للآخر الغربي

التوظيف السلبي لقضايا
الدراسات البحثية بحصرها
في الترقّي الوظيفي، ليصار
إلى اعتبار الدراسات البحثية
وسيلة تكسب للقيمة العيش
دون اعتبار يذكر لإثمارها
الوظيفي في بنية العلم

التجاهل التام لدراسات بناء
المفاهيم وتأسيس النماذج
النظرية لدرجة أنه لا يوجد
نظرية أو نموذج علمي نظري
يمكن نسبته إلى عالمه نفس
عربي إلا فيما ندر جداً

إعلاء قيمة الإجراء على قيمة
المضمون؛ مما يتعذر معه

البحثية لدى كثير من الباحثين العرب، ولقصور مخز في عمليات إعداد وتأهيل الباحث؛ فضلاً
عن حالة الضمور الفكري الناتجة عن هشاشة التأسيس العلمي وميوعته باستثناء عدد قليل من
الباحثين الجادين في هذا السياق (لست منهم بكل يقين، ولا يحق لي أن أدرج نفسي في فئتهم).

ويعنى العبث الفكري في سياق الحديث عن وعكة الحالة البحثية في الدراسات النفسية

العربية ما يلي:

1. الافتقار للرؤية البحثية التي يتحدد في إطارها رسالة إيجابية لوضعية رسالة العلم في
المجتمع، وتحدد وفقاً لها مهامه وأهدافه وإجراءاته.

2. الافتقار إلى الهوية البحثية التي تميز قضايا الاهتمام البحثي في الحالة العربية ميزاً
فارقاً عن الهوية البحثية للآخر الغربي؛ إذ غالباً ما تعالج نفس الموضوعات ونفس
القضايا ويركز على نفس المتغيرات دون ربطها بالسياق الثقافي الاجتماعي.

3. الإغلاء من قيمة الإجراء على الفكرة: فمهما كانت الفكرة المهم أن يزيّن الدراسة
البحثية أشكال توضيحية وجدوال إحصائية، وخطوات تصب في قالب نمطية جامدة لا
سبيل للفكاك منها أو إعداد برمجتها بصيغة مغايرة.

4. التوظيف السلبي لقضايا الدراسات البحثية بحصرها في الترقّي الوظيفي، ليصار إلى
اعتبار الدراسات البحثية وسيلة تكسب للقيمة العيش دون اعتبار يذكر لإثمارها الوظيفي
في بنية العلم.

5. التجاهل التام لدراسات بناء المفاهيم وتأسيس النماذج النظرية لدرجة أنه لا يوجد
نظرية أو نموذج علمي نظري يمكن نسبته إلى عالم نفس عربي إلا فيما ندر جداً
ولدرجة تتضائل معها استحقاقات الذكر إلا لعدد قليل لا يتجاوز أصابع اليدين خاصة
الآباء المؤسسين للدرس والبحث السيكولوجي الذين هم إثمار خير ورواد فكر وبقاء
منجز.

6. إعلاء قيمة الإجراء على قيمة المضمون؛ مما يتعذر معه وجود تفسيرات واستنتاجات
نظرية علمية تضاف إلى جسد العلم وبنيته، فكل ما هنالك قراءة للجدول والأشكال
الإحصائية ووصفها وتفسيرها سطحياً في ضوء مقولة اتفقت واختلقت دون الولوج في
بنية التركيب النفسي والتراكيب المتداخلة معه والمرتبطة به.

7. وضع الباحث العلمي في العالم العربي تحت مظلة ما يعرف بالكفالة والوصاية، فلا بد

وضع الباحث العلمي في
العالم العربي تحت مظلة ما
يعرفه بالفضالة والوصاية،
فلا بد من وجود آخر أكبر
سناً ومقاماً علمياً يكفله
ويؤكّر نيابه عنه ويحدد
تصوراته ويكون وصياً عليه

التنكر لماهية صناعة الباحث
العلمي والتي تعتمد رباعية
التأسيس بالتعليم، والتأهيل،
والإتاحة، والثقة، واستبدالها
باعتقاد استراتيجية الترخّص
والتساهل والإتجار بالبحث
العلمي

اعتماد التقليدية وإيثار
السلامة في البحث العلمي
بارتياد قضايا بحثية هامشية
تقليدية مكررة، والتنكر
للإبداعية

القلم الأحمر: جبلت النفس
البشرية على سرعة التقاط
الأخطاء وهذا أسهل ما في
عملية التقييم، ومعادة ما ترى
الأوراق البحثية تحولت من
اللون الأزرق إلى اللون
الأحمر كأن كل ما فيها خطأ
يستوجب الإدانة والشجب
والإلغاء

القلم الأخضر: ويصح تسميته
قلم التوجيه والإرشاد بأن
يحيل المقيم الباحث إلى كل
ما يمكن أن يوجد به بحثه

من وجود آخر أكبر سناً ومقاماً علمياً يكفله ويفكر نيابه عنه ويحدد تصوراته ويكون
وصياً عليه، وهذا أمر إن تم بصورة إنسانية إيجابية وتمتع هذا الكفيل والوصي
بالجدارة والافتدار العلمي الحقيقي لكان أمراً مقبولاً، أما أن يكون التجبر والتسلط وفقاً
لمعيار الأقدمية والترقي الوظيفي هو الأساس والذي عادة ما يتم دون استحقاق أو
جدارة بل يتم الترفي غالباً وفقاً لفقّه المحسوبية والمعرفة الشخصية والفهولة فكبر أربعاً
على البحث العلمي الحقيقي.

8. التنكر لماهية صناعة الباحث العلمي والتي تعتمد رباعية التأسيس بالتعليم، والتأهيل،
والإتاحة، والثقة، واستبدالها باعتماد استراتيجية الترخّص والتساهل والإتجار بالبحث
العلمي لدرجة أضحت معها بعض مؤسسات الدراسات العليا في المجتمع الأكاديمي
العربي المعاصر أشبه بسوق تجاري تباع فيها الشهادات وتمنح فيه الدرجات العلمية
لمن يعرف مسارات دفع الثمن.

9. اعتماد التقليدية وإيثار السلامة في البحث العلمي بارتياح قضايا بحثية هامشية تقليدية
مكررة، والتنكر للإبداعية مع الثثرة عنها فكراً وثقافة مع تجفيف منابعها ممارسة
وسلوياً.

10. غياب فقّه الأقلام الثلاثة في تقييم الدراسات البحثية، لا تخلو أدبيات المجال من قوائم
تحدد معايير صارمة للتقييم، إنما من ينفذ المعايير قد لا يتمكن من تجنب ذاته
وتحيزاته وفقاً لمضامين ما تقدم، لكونه يظن أنه لا معقب لأمره ولا راد لقضائه، وما
هو واجب في التقييم استخدام ثلاثة وهي:

أ. القلم الأحمر: جبلت النفس البشرية على سرعة التقاط الأخطاء وهذا أسهل ما في عملية
التقييم، وعادة ما ترى الأوراق البحثية تحولت من اللون الأزرق إلى اللون الأحمر كأن كل ما
فيها خطأ يستوجب الإدانة والشجب والإلغاء.

ب. القلم الأخضر: ويصح تسميته قلم التوجيه والإرشاد بأن يحيل المقيم الباحث إلى كل ما
يمكن أن يوجد به بحثه؛ فضلاً عن وضعه للإطار التصنيفي الصائب لبرمجة عملية الكتابة
وعنصرتها والاتفاق على طريقة إخراجها.

ت. القلم الأزرق: ويصح تسميته بقلم الإضافات النسبية للمقيم؛ ويمثل الإثمار الإيجابي
للاستاذ؛ فربما يصوب هو بذاته مفهومًا أو تصورًا أو يطرح رؤية قد تمكن الباحث من تجويد
عمله.

إن العبث الفكري جحود عملي يقتل المعاني في البحث العلمي، وتجاهل لمفاهيم خصوصية
الحالة والوضع الثقافي والقيمي، وتكرر للمنطق بغير منطق، فالغاية النهائية للبحث العلمي

تجويد الواقع وتحسين نوعيته لا إقراره وإعادة إنتاجه بالصورة التي هي عليه، ودوران في فلك التقليدي والمكرور بغير حجة أو إثمار.

القلم الأزرق: ويصح تسميته
بقلم الإضافات النسبية للمقيم؛
ويمثل الإثمار الإيجابي
للاستاذ؛ فربما يصوبه هو
بذاته مضمومًا أو تصورًا أو
بطرح رؤية قد تمكن الباحث
من تجويد عمله

* اعتمد في التوصيف النظري للعبث الفكري في سياق البحث العلمي، على الطرح النظري لمفهوم سماه (مصطفى حجازي، 2014) الإلحاد الفكري، ولما كان لمفهوم الإلحاد الفكري وقعًا سيئًا على الواعية الذهنية استبدل بتعبير (العبث الفكري).

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Documents/DocAbouHalawaIntellTempering.pdf>

*** **

جائزة العالي أحرشوا لشبكة العلوم النفسية العربية 2018

دعوة لتقديم الترشيحات

شروط الترشح للجائزة

www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2018/APNprize2018.pdf

ارتباطات ذات صلة

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com/arabpsynet.php?p=2>

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على الفيس بوك

<https://www.facebook.com/Arabpsynet-Award-289735004761329/?ref=bookmarks>

شبكة العلوم النفسية العربية

نحن تعاون عربي رقيًا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

شعنا: إنجازات خمسة عشرة عامًا من العطاء "

(التأسيس العام 2000 الاطلاق على الويب العام 2003)

الكتاب السنوي الخامس

التحميل من موقع " شبكة العلوم النفسية العربية "

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا... نذهب أبعد